محمد نجيب

الزعيم الذى أكلته الثورة

- تم ترشيحه لوزارة الحربية فى عهد فاروق ورفض من أجل الثورة
- قدم استقالته وعاد بناء على طلب الشعب المصرى
- كان عسكرياً وصحفياً ويجيد خمس لغات
- قال عنه عبد الحكيم: الجوهرة التى ستقود الثورة
- ولد فى السودان وانضم للجيش المصرى وأصبح رئيساً ثم مات وحيداً

لو كان حتما على التاريخ أن يذكر قائدًا وطنيًا عظيمًا سيذكر محمد نجيب وإن كان التاريخ قد أنكر اسمًا عظيمًا فذلك هو محمد نجيب قائد ثورة يوليو ١٩٥٢، ذلك الزعيم الذى أكلته الثورة وبدلاً من ذلك حمل كل خطاياها واستدرجه التاريخ فى مؤخرة صفوفه بدلاً من وضعه فى المقدمة.

محمد نجيب رئيس جمهورية برتبة لواء كما كان يُعرف نفسه ويقدمها للجدران والاثاث العتيق فى قصر «زينب الوكيل» بالمرج الذى مكث فيه مسجونًا سنوات لم يحصها، كانت الجدران تصدقه بعكس حفيدة الصغير، الذى كان يسكن معه ويسأله مستنكرا: كيف تقول لى يا جدى أنك أول رئيس جمهورية بينما لا تذكر كتب التاريخ التى ندرسها فى المدرسة حرفًا واحدًا من اسمك؟!

كان محمد نجيب فارسًا نبيلاً ولم يكن ساذجًا، اختاروه ليتقدم الرجال ويقف فى وجه المدفع، ولأن القيادة الحقيقية تعنى تحمل المسئولية والمغامرة مهما تكن عواقبها، فقد تقدم الرجل الصفوف وهو يدرك أن فشل الثورة سيؤدى به إلى حبل «المشنقة» بدون شك، ونجحت الثورة وفشل صانعوها فى تجاوز بريق السلطة، فعلقوه على «مشنقة» نصبوها فى المرج لتبقى شاهدة على نبل الفارس الصامت الذى سالت دماؤه ثلاث مرات. اثنين على تراب مصر وواحد فى الغربة.. قاتل فى حرب فلسطين فجُرِحَ وسال دمه فى معركة «التبة» فكانت الأولى دفاعًا عن العرب. وفى ٢٥ فبراير ١٩٥٤ أعلن مجلس قيادة الثورة قبول استقالته كرئيس للدولة على الرغم من أنه لم يقدمها، فاندلعت المظاهرات فى انحاء مصر تطالب بعودته، مما اضطر رجال الثورة لإعادته لمنصبه فى اليوم التالى، يومها شعر نجيب أن النهاية حانت ولم يبق سوى تحديد الميعاد المناسب، وفى ١٤ نوفمبر من العام نفسه ذهب معهم فى صمت حيث قرروا اعتقاله فكانت الثانية فى حب مصر.

ولم تكن هذه الليلة هى أخر عهده بالوفاء، فبعد سنوات سال دمه من عروق ابنه الذى أغتيل فى المانيا. . ولم يسأل: من قتل ابنى؟ فالروح لن تعود للجسد.

تاريخ مصر المكتوب لم يألف وجه هذا الرجل فقد بدا غريبًا فى زمن لا يحتفى بأمثاله.

مولده .. حياته

وُلِدَ محمد نجيب فى الخرطوم فى ٢٠ فبراير عام ١٩٠١ من أسرة عريقة عسكريًا، وكان والده يوزباش بالجيش ثم مأموراً بحكومة السودان، وأصل بلدته النحارية بكفر الزيات بالوجه البحرى، ووالدته مصريه وُلِدَت ونشأت بالسودان، وقد نشأ محمد نجيب بالسودان إلى أن أتم دراسته الثانوية، ثم سافر إلى مصر ودخل المدرسة الحربية بالقاهرة فى إبريل ١٩١٧ وتخرج فيها ٢٣ يناير عام ١٩١٨م.

حصل على أجازة الحقوق عام ١٩٢٧، ودبلوم الدراسات العليا للدكتوراة فى الأقتصاد السياسى فى مايو ١٩٢٩، ودبلوم الدراسات العليا للدكتوراة فى القانون الخاص فى مايو ١٩٣١، وقد حصل على هذه الدبلومات وهو ضابط صغير. ونال بعد ذلك شهادة كلية أركان حرب فى مايو ١٩٣٩، وأُرسِلَ فى رحلة تعليميه لإنجلترا لمشاهدة منشآتها الحربية، كما أُرسِلَ إلى فرنسا لزيارة ميادين القتال فى حرب ١٩٣٩ - ١٩٤٥ «الحرب العالمية الثانية».

واشترك فى حرب فلسطين وجُرح فيها ثلاث مرات، فقد عمل قائداً للواء الأول فى معارك فلسطين، وفى الفترة الثانية تولى قيادة اللواء العاشر «الضارب» ومعه جميع الأسلحة المساعدة، ثم ضم إلى ذلك قيادة اللواء الرابع بخان يونس، وكانت معركة «التبة» فى دير البلح التى جُرح فيها أخر مرة يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٤٨، من أهم المعارك التى خاضها فى فلسطين وعددها ٢١ معركة، وقد أُصيبَ فيها برصاصة اخترقت صدره من اسفل ونفذت من الظهر، ومُنِحَ نجمة فؤاد الأول مرتين تقديراً لبسالته مرة قبل هذه المعركة ومرة بعدها.

خدم فى مختلف أسلحة الجيش من مشاة، وفرسان، وهجانة، وسيارات مسلحة ومدافع ماكينة، وتنقل فى ٢٥ وحده من مختلف أسلحة الجيش. نُقِلَ فى أثناء الأزمات الأخيرة قبل الثورة من وظيفة المدير العام لسلاح الحدود، إلى وظيفة مدير سلاح المشاة، اثر خلاف مع الملك السابق «فاروق» وبعض أعوانه، ورشح نفسه لرئاسة نادى ضباط القوات المسلحة، فانتخب باغلبية الأصوات، ولم يفقد سوى ٣٩ صوتًا من ٤٠٠، ولكن الملك فاروق عزله من رئاسة النادى.

وفى أواخر نوفمبر عام ١٩٥١ بدأت الأزمات تشتد وتتكرر بينه وبين السراى، وقد رُشِحَ ثلاث مرات لتولى وزارة الحربية والبحرية وذلك فى عهد وزارات على ماهر و«الهلالى» و «حسين سرى» ولكن الملك السابق كان يقف دائماً دون إتمام ذلك، لما يعلمه عن حب الجيش «لمحمد نجيب»، ومبلغ مكانته عند أفراد القوات المسلحة، وقد اقترح قبل قيام حركة الجيش فصله من الخدمة ولكن الحركة سبقت ذلك، وكان محمد نجيب يجيد العديد من اللغات وهى الانجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية والعبرية.

اشتغل اللواء «محمد نجيب» على مدى تاريخه الطويل بالعمل الصحفى فعمل فى صحف منها «اللواء» التى أصدرها الحزب الوطنى القديم بزعامة «مصطفى كامل» ثم فى «السياسى» التى كان يصدرها حزب الأحرار الدستوريين ثم «أخبار اليوم».

كما ألّف العديد من الكتب منها: رسالة عن السودان « أو مصير مصر» بالانجليزية و «كلمتى للتاريخ» و «كنت رئيسًا لمصر».

نجيب فى بيته

كان نجيب يعيش فى بيت متواضع «بحلمية الزيتون» وكان المنزل عبارة عن طابق واحد مكون من أربع حجرات، ومؤثث بالضرورى من الأثاث فقط، وكان اللواء نجيب في الأحوال العادية يقابل الصحفيين فى الشرفة الملحقة بالبيت،

وكان منزله لا يحتوى علي أى معلم للثراء من أثاث فخم أو أوانى للزهور أو نجف وخلافه، وبات هذا المنزل البسيط يمثل شخصيته القنوعة، المتصفة بالرضا بما يمنحه الله للإنسان من بساطة العيش.

انجب اللواء أربعة أبناء وهم سُمية التى توفيت قبل الثورة و «على» الذى اغتيل فى ألمانيا الغربية و «فاروق» الذى مات منذ سنوات و «يوسف» الذى توفى مؤخراً. وحياة نجيب الأسرية تشبه حياة الرئيس الأمريكى «جون كيندى» الذى أغتيل فى «دالاس» بأمريكا عام ١٩٦٣ اثر مؤامرة دُبرت له ونُفذت فى الحال. كما أغتيل معظم أفراد أسرته، ومن عائلة «كيندى» إلى عائلة «نجيب» فقد مات فاروق الابن الأكبر لمحمد نجيب الذى اسمته أمه على اسم الملك فاروق عام ١٩٦٩ بعد أن خرج من المعتقل السياسى بشهور، واغتيل الأوسط وهو «على» عام ١٩٦٨ فى ألمانيا ولم يسمح لأبيه بحضور جنازته وكان «على» زعيمًا طلابيًا له نشاط واضح ضد اليهود فى ألمانيا، وكان يقيم المهرجانات السياسية التى يدافع فيها عن مصر وعن الثورة وعن حق الفلسطينين فى العودة إلى بلادهم.

أما الأبن الأصغر «يوسف» فقد كان ضحية الظروف التى فرضها الضباط الأحرار على والده فعمل فى بداية حياته سائقًا بشركة النصر للتليفزيون، لكنه طُرد منها عام ١٩٦٧ على إثر مشادة بينه وبين أحد المسئولين حول دور والده السياسى، وعاش عاطلا إلى أن اشترى سيارة تاكسى وتكسب من عمله عليها ثم عمل سائقًا لسيارة نقل، ونتيجة لظروف والده حاول «يوسف» الانتحار أكثر من مرة ودخل مستشفى الأمراض العقلية أربع مرات خلال حياة أبيه إلى أن توفى مؤخراً.

الجوهرة

كان محمد نجيب مديراً لسلاح المشاة الذى يضم كتائب القوات المسلحة ذا الفاعلية المباشرة فى القتال والتصدى للمعركة، وكان أركانُ حربه الصاغ «عبد الحكيم عامر» الذى رُقىّ إلى هذه الرتبة الاستثنائية لبلائه الحسن فى حرب ١٩٤٨م ومن ثم قامت رابطة وثيقة ومتبادلة وعميقة بين الطرفين، القائد وأركان

حربه. وفى ذلك الوقت أبلغ عامر صديقه البكباش «جمال عبد الناصر» عندما خططوا للتنفيذ الفعلى لثورة يوليو أنه وجد الجوهرة التى يجب أن يستعينوا بها لقيادة هذه الثورة. وكان هذا مدخلاً مفتوحاً ومُغريا لتجمع الضباط عمومًا والأحرار خصوصاً حول اللواء «محمد نجيب» فذاع صيته وانتشرت مكانته وهيبته كانتشار النار فى الهشيم، ومن ثم كان هو الورقة المضمونة والرابحة، كما طُلب منه الترشيح رئيسًا لإدارة نادى ضباط القوات المسلحة، وعندما علم نجيب بتنظيم الضباط الأحرار وافق فداء للوطن ولمبادئ كان يود تحقيقها أن يكون قائدهم.

وعندما عُرضت عليه وزارة الحربية من قبل «الملك فاروق». بواسطة الدكتور «محمد هاشم» وزير الداخلية، وزوج ابنة «حسين سرى» رئيس الوزراء فى هذا الوقت رفضها بإباء وشمم وقال: لا، وتحركت الثورة ونجحت بعد تحديد محمد نجيب لموعدها فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

اختطاف الرئيس

كانت بداية المؤامرات ضد نجيب سببًا رئيسيًا فى تقديم استقالته، ففى الوقت الذى كان ينوى فيه زيارة السودان فى ٢٤ نوفمبر ١٩٥٤ لتوطيد العلاقات. عقد أعضاء مجلس قيادة الثورة اجتماعًا، ولم يدع إليه اللواء نجيب ولم يكن يدرى ما السر وراء الاجتماع، بالرغم من وجوده فى المبنى.

ولما استفسر الرئيس نجيب من السكرتير العسكرى الخاص «اليوزباشى اسماعيل فريد» لماذا لم يخطره بإنعقاد المجلس، فذهب «اسماعيل» إلى الاجتماع وأخبر أعضاء الثورة بملاحظة الرئيس إلا أنهم لم يردوا عليه، وإثر ذلك قدم نجيب استقالته وعلمت الصحف ونشرت الخبر فى اليوم التالى، ولما استقال «نجيب» فى ٢٥ فبراير ١٩٥٤ ذهب البكباش «محسن أبو النور» بصحبة سيارتين نقل محملة بالجنود إلى منزل الرئيس «نجيب» بحلمية الزيتون، وقام بسحب الجنود الموجودين واستبدلهم بمن أتى بهم، وفوجى نجيب بضباط يقودونه فى سيارة جيب إلى

سلاح المدفعية فقال لهم: يا أولادى يجب أن تعلموا نتيجة تصرفكم هذا بما سوف يجر على البلاد والقوات المسلحة من دمار وآثار، وكان من الممكن أن يعاجلهم جميعًا فقد كان مسلحًا ولكن هذا ليس اسلوبه فى معالجة تهورات الضباط الشبان. يقول نجيب عن هذا الموقف: «دخلت فى غرفة وسألتهم ماذا يريدون؟ فقالوا: انتظر سنخبرك، وعلمت أن أحدهم إتصل بالبكباش «جمال عبد الناصر» وأخبره أن اللواء «محمد نجيب» رهن الاعتقال وانه بين أيديهم الآن، فرد عليه «عبد الناصر» بأن أعيدوا اللواء إلى منزله حتى لا تتعقد الأمور» بعدها خرجت الجماهير تهتف في الشوارع مطالبة بعوده الرئيس نجيب، وقد اشترك فى هذه المظاهرة الإخوان المسلمين بزعامة «عبد القادر عودة» وعلى الفور قرر أعضاء الثوره وعلى رأسهم «جمال عبد الناصر» عودة الرئيس «محمد نجيب» درءًا لغضب الجماهير واستجابة لشعبيته الجارفة

القضية الأولى

بعد نجاح الثوره فى تحقيق اهدافها وتثبيت أقدامها طفت على السطح قضية «الديمقراطية» التى كانت القضية الأولى التى تشغل بال نجيب والتى كانت مثار خلاف بينه وبين أعضاء مجلس الثورة، وحاول نجيب فرض هذه القضية بعد رجوعه إلى السلطة وبعد أن تبين ولاء الشعب المصرى وحبه له. وجرت بالفعل اجتماعات فى أوائل مارس ١٩٥٤ بمجلس الثورة لتحقيق مطالب الرئيس نجيب فى عودة الأحزاب والبرلمان والحياة النيابية وترسيخ النظام الديمقراطى، وبعد عدة اجتماعات خرجت من بين أنيابهم قرارات ٥ مارس ١٩٥٤ تنص على عوده الأحزاب وعودة البرلمان وإلغاء الرقابة على الصحف.

وقد أثارت هذه القرارات حفيظة عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة وبخاصة «جمال عبد الناصر» الذى كان يعلم خطورة تطبيق هذه القرارات على الحياة السياسية فى مصر وخاصة بعد الثورة.

لقد كان ايمان محمد نجيب بالديمقراطية نابع من إيمانه بأن الأحزاب التى كانت

تعمل قبل الثورة من بينها أشخاص وقيادات سياسية على درجة عالية من الكفاءة، وكان «نجيب» مخلصًا اخلاصاً عميقًا لمصر، ويؤمن بأن هناك ساسة قدامى مخلصين يحبون كل ما من شأنه رفعة مصر.

معتقل المرج وسنوات العذاب

كانت أزمة مارس مقدمة للإطاحة بـ «نجيب» عن السلطة ونهاية لحقبة قصيره فى تاريخ مصر، ونهاية الديمقراطية، وقد استمرت هذه الأزمة حتى خروجه من السلطة فى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ واعتقاله فى المرج لمدة عشرين عامًا، وأثناء الإقامة تبارت الحراسات المعينة عليه والآمرون بهذه الحراسة فى التنكيل به، وذاق نجيب عشرين عامًا من العذاب والشقاء والعنت من جانب أناس لا يعرفون إلا القهر طريقاً لتحقيق أهدافهم. وفى هذه الأثناء مرضت زوجته وانتقلت إلى مستشفى المعادى للعلاج، وظلت هناك مدة طويلة، وعاش نجيب أيامًا مُضنية شاقة، سوداء وحيداً فى هذا المسكن الذى أصبح بمثابة «زنزانة» فردية لم يجد فيها سوى القطط والكلاب، التى وجد فيها وفاء لم يجده فى بنى الإنسان. ولك أن تتخيل معاناة ذلك الرجل الذى قاد ثورة يوليو والذى كاد يضحى بحياته من أجل مصر، كان يعيش حيث لا كتب ولا إذاعات وليس هناك أى وسيلة تبدد الوحشة والعزلة التى كان فيها، حتى ضباط الحراسة الصغار كانوا يخشون الاقتراب منه، حتي لا ينالهم عقاب أليم، ووصلت قمة المأساة عندما علم أن ابنه قد مات قتيلاً وأُحضر جثمانه إلى مصر ولم يره نجيب قبل أن يُدفن!

وظل نجيب بالمرج إلى أن أفرج عنه السادات وسمح له بمغادرة المعتقل، فانتقل إلى منزل بحدائق القبة وليس له رصيد فى البنك سوى ٩٠٠ جنية وعربة قديمة جداً.

اللحظات الأخيرة

عاش نجيب وحيداً راقداً فى سريره لا يراعيه غير عناية الله وإيمانه وصبره، وعجوز طاعنة فى السن، وبعد أن ساءت حالته نُقِلَ إلى مستشفى كوبرى القبة،

وفى مساء ٢٨ أغسطس ١٩٨٤م لبى الرئيس محمد نجيب نداء ربه عن عمر يناهز ٨٣ عاما بعد أن كتب تاريخ مصر فى فترة من أحرج فترات حياتها، وجنى عليه التاريخ وأنكره.

الثروة بعد الرحيل

بعد رحيل الرئيس محمد نجيب كان رصيده فى البنك الأهلى المصرى فرع مصر الجديدة ٦٢٤ جنيها مصريًا فقط لا غير. وقبل أن يدخل معتقل المرج وتُحدد إقامته كان رصيده فى نفس البنك ٨٩٩ جنيهاً و ٦١ مليما فقط لا غير دخل الرئيس من راتبه كرئيس جمهورية وهو مرتب فى حدود ٦ آلاف جنية، تنازل عن نصفه فى خطاب رسمى لوزير المالية، كما سبق وتنازل عن رتبة الفريق. ولأنه تنازل عن نصف مرتبه، فقد انخفض معاشه الذى تقرر له بعد خروجه من الحكم، وكان هذا المعاش بالضبط ١٨٣ جنيهًا و ٨٦٦ مليمًا، وكان هذا المعاش هو دخله الوحيد وزاد هذا المعاش ١٠٠ جنيه بعد قرار الرئيس أنور السادات بالأفراج عنه عام ١٩٧١، ولم يكن هذا المعاش البسيط يكفيه لأنه بجانب مصاريف بيته الشهريه، كان ينفق مبلغًا من المال على علاج زوجته ومبلغ على تعليم أولاده فى الخارج، ويبدو أن ضغط المصاريف عليه، جعله يقوم بعمل ميزانية دقيقة لبيته، يوقع عليها بعد مراجعتها، بعبارة «صحيح» ـ يعتمد. لواء محمد نجيب.

الأخلاق

عند وصول اللواء نجيب ليودع الملك فاروق أثناء إتجاهه للمنفي بالباخرة المحروسة، لاحظ وجود عصا تحت إبط قائد الجناح جمال سالم، فأشار إليه أن ينزل العصا، فالتقاليد العسكرية تقضى بذلك فى مواجهه ضابط برتبة أعلى، فما الحال إذا كان الملك؟!

وبعد أن أدى نجيب التحية للملك فاروق قال له «كنت أنوى تقديم إستقالتى من الجيش فى ٤ فبراير ١٩٤٢، دفاعاً عنك وعن اعتراضى لأى مساس بعرشك، ولكن اختلفت الظروف بعدها وأدت إلى أن أودعك اليوم.

الأوفياء الثلاثة

كان محمد نجيب يتميز عن الآخرين فقد كان أقرب المقربين له ثلاثة من الكلاب، وكان محمد نجيب يحبهم ويرعاهم ويخاف عليهم ويقدم الطعام والدواء بيديه لهم، ولم يكن مثيراً للدهشة أن يفرد الكثير من صفحات يومياته التى كان يكتبها فى الصحف عنهم، وكان نجيب يعتبر موت أحدهم يوم حداد ويوم غم ونكد.

وعندما سأله الصحفيون فى حوار معه: لماذا كل هذا الحب والأهتمام بهذه الحيوانات، قال نجيب: لأنهم بقايا الوفاء فى عالم لم أعرف فيه الوفاء وبقايا الحب فى زمن أنعدم فيه الوفاء والحب.. ولأنهم بقايا الحنان، فى عالم غرس فى صدرى كل الأشواك، وأسماء الكلاب الثلاثة «توته، هدهد، لايكا»

زيجات نجيب

بعد وفاة جميع أولاد نجيب وقبل وفاة يوسف كان الخلاف قائماً بإستمرار بين نجيب وابنه يوسف بسبب تعدد زيجات يوسف الذى تزوج سبع مرات. وفى حوار لنجيب مع آحد الصحفيين قال: يبدو أن تعدد الزوجات داء فى عائلتنا.. أو وراثة.. وكان أول من فعل ذلك هو أبى، يوسف نجيب فقد تزوج من امرأة قبل أمى سوادنية من قبيلة الشفايفية، أسمها «سيدة محمد حمزة الشريف» وانجب منها أخى الأكبر «عباس»، ثم طلقها، حتى أنا تزوجت أكثر من مرة، وكانت أول مرة من ام ابنتى الكبرى «سميحة» التى ماتت وهى فى ليسانس الحقوق ١٩٥١ بسرطان الدم، وثانى مرة تزوجت من أم أولادى «عائشة» عام ١٩٣٤ بعد أن طلقت أم سميحة بأربعين يومًا، والمرة الثالثة من سيدة تدعى «عزيزة» كانت قريبة لى وفى حاجة لمن يساعدها ويقف بجوارها.